وفقهوا الإسلام ، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة [١] .» وهي ملاحظة دقيقة ربما تفسّر لنا قلة ما وصل إلينا من شعر ابن رواحة ؛ إذ إن من أسلموا من قريش ممن كان يهجوهم آثروا أن ينسوا ذلك الشّعر الذي أصبح « أشدّ الشّعر عليهم » .

وهي بعدُ ملاحظةٌ صائبة ؛ فقد رأينا في شعر حسّان وكعب بن مالك بقايا غير قليلة من التّقاليد الجاهليّة القديمة ، بما فيها من عصبيّة واعتداد بالمآثر القديمة وتعييرٍ بالمثالب ، وإن خفّف من حِدّتها تأثُّر بهَدي الإسلام وتعاليمه .

أما القِطع القليلة التي احتفظت لنا بها المصادر من شعر ابن رواحة فنحن نرى فيها بالفعل عميقَ إيمانه . ومن بين هذه القطع رثاؤه لحمزة بن عبد المطلب ، عمّ الرّسول ﷺ ، في وقعة أحُد وفيها يقول :

بَكَتْ عَيْني وَ حُقّ لها بُكَاها ... وما يُغْني البكاءُ ولا العَويلُ
على أسَدِ الإلَهِ غداةَ قالُوا ... أ حَمْزَةُ ذاكُمُ الرَّجلُ القتيلُ
أصيبَ المسلمونَ به جميعًا ... هناك وقد أصيبَ به الرَّسولُ
عليكَ سلامُ رَبِّكَ في جِنانٍ ... مُخَالِطُها نَعِيمٌ لا يَزُولُ [٢]

ومن شعره قطعة أخرى يخاطب بها أبا سفيان في غزوة بدر الموعد في السّنة الرّابعة للهجرة ، وإنّما سمّيت كذلك لأن الرّسول ﷺ واعد أبا سفيان عند بدر ، غير أن أبا سفيان آثر السّلامة وبدا له في الرُّجوع ، فقال في ذلك عبد الله بن رواحة :

وَعَدْنَا أبا سُفْيَانَ بَدْرًا فلَمْ نَجِدْ ... لميعادِهِ صِدْقًا وما كانَ وافِيا
فأُقْسِمُ لو وافَيْتَنَا فَلَقِيتَنَا ... لأبْتَ ذَمِيمًا وافْتَقَدْتَ المَوَالِيا

---

(١) الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٣٧–١٣٨ .
(٢) الاكتفا للكلاعي ج ٢ ، ص ١٣١ .